الفصل التاسع

من المجر والسويس إلى كوبا

"في مجالس الحكومة... يجب أن نأخذ حذرنا من اكتساب نفوذ لا مبرر له، سواء سعى إليه المجمع العسكري الاقتصادي في الولايات المتحدة أم لا".

(دوايت د. إيزنهاور)

«في خطاب الوداع»

إن الانطباع الأول والساحق عن السياسة الخارجية الأمريكية من ١٩٥٦ إلى ١٩٦١ هو الفشل المستمر. ولقد أدى عجز الولايات المتحدة عن اتخاذ أى إجراء لمساعدة ثوار المجر إلى السخرية من نداءات التحرير التى أطلقها الحزب الجمهورى. كما أن إيزنهاور و «دالاس» عجزا عن احتواء السوفييت، الذين نجحوا فى تحقيق حلمهم القديم بتوطيد نفوذهم فى منطقة البحر المتوسط وفى الشرق الأوسط. وبالإضافة إلى ذلك، نجح السوفييت نجاحاً كبيرا فى صناعة الصواريخ ـ بدءاً بإطلاق القمر الصناعى «سبوتنك» ـ مما أدى إلى إصابة الولايات المتحدة بدرجة كبيرة من الاكتئاب، وبدا أن روسيا قد فازت فى سباق التسلح. وفى ١٩٥٩ كان «خروشوف» هو الذى يمارس سياسة «حافة الهاوية» من مركز القوة. وبعد أزمة السويس، لم تعد فرنسا ولا بريطانيا ولا الولايات المتحدة يثقون فى بعضهم تماما. وفى جنوب شرق آسيا، هددت جماعات حرب العصابات الشيوعية فى جنوب ڤيتنام، وفى لاوس بقلب الميزان الدقيق هناك لصالح الشيوعيين. وفى أمريكا اللاتينية، كانت إدارة

إيزنهاور عاجزة عن مواجهة ثورة فى كوبا؛ مما سمح للسوفييت بمد نفوذهم فى منطقة تبعد عن الولايات المتحدة بتسعين ميلاً فقط.

ومع ذلك، فإن الظواهر السطحية تكشف ـ فقط ـ عن حقائق سطحية. إن الإنجاز الرائع الذى حققه إيزنهاور كان تجنب الحرب؛ إذ رفض إيزنهاور اشراك القوات الأمريكية فى صراع مسلح بالرغم من النداءات العاطفية وغير المسئولة للحزب الجمهورى لكسب أصوات الناخبين المعادين للشيوعية، وبالرغم من تغير موقف روسيا فى الحرب الباردة الى موقف هجومى. لم تكن لدى إيزنهاور حصانة ضد سياسة التدخل، أو إلقاء الخطب الاستفزازية، أو الاختبارات النووية، أو سباق التسلح (فى حدود صارمة)، ولكنه صمم على أن يدير وجهه ضد الحرب. وجاء دور الحزب الديمقراطى لكى يتذمر من أن الولايات المتحدة لم تكن «تتقدم إلى الأمام» ولم تكن «تنجز ما فيه الكفاية»، وأن الولايات المتحدة بدأت «تخسر الحرب الباردة».

ولكن بالرغم من اتهامات الحزب الديمقراطى، فقد خرجت الولايات المتحدة من سنوات حكم إيزنهاور، وهى تتمتع بمركز قوى؛ فقد ارتفع إجمالى الناتج القومى الأمريكى ـ ودون تضخم. كما استمر اقتصاد دول أوروبا الغربية فى الازدهار، وكان حلف شمال الأطلنطى متماسكاً. وكانت المصالح الأنجلو ـ أمريكية فى بترول الشرق الأوسط مأمونة، واستمر اقتصاد أمريكا اللاتينية تحت سيطرة أمريكا، كما كانت القواعد الأمريكية فى المحيط الهادى سالمة، وظل «شيانج كاى تشيك» مسيطراً على فورموزا، كما أن الولايات المتحدة ظلت متفوقة عسكرياً على الاتحاد السوفيتى، رغم أن إيزنهاور كان ينفق فقط حوالى ثلثى المبالغ التى أراد الحزب الديمقراطى أن ينفقها على الدفاع.

لقد عجز إيزنهاور عن احتواء الشيوعية، وعن تحرير أوروبا الشرقية، كما ظل متمسكا بشعارات الحرب الباردة، ولكنه كان رجلاً معتدلاً وحذراً، وواضح الرؤية إزاء الثمن الذى قد تدفعه الولايات المتحدة فى سبيل مقاومة زحف الشيوعية فى كل مكان، وكان يرى أن الاقتصاد الأمريكى لا يستطيع أن يدفع ذلك الثمن. وكان هذا

هو الفرق الأساسى الذى ميز «إيزنهاور» عن الرؤساء الديمقراطيين الذين خلفوه. وكانت أيدى «دالاس» مكبلة بسبب سياسة «إيزنهاور» المالية المتحفظة، فلجأ وزير الخارجية إلى بيانات الشجب العنيفة والمملة، التى أدت إلى ارتياح عاطفى، مع عدم الاخلال بتوازن الميزانية.

كان نفور إيزنهاور من اتخاذ إجراءات هجومية واضحاً فى رده على الأحداث التى سبقت وصاحبت حملة انتخابات الرئاسة فى ١٩٥٦، واتهم «ادلاى ستيفنسون» المرشح الديمقراطى ـ «إيزنهاور» بأنه لا يفعل ما يكفى لإيقاف الشيوعيين، فقد صرّح أن نصف الهند الصينية أصبح «دولة جديدة تدور فى فلك الشيوعية»، والولايات المتحدة خرجت من الكارثة وهى تبدو مثل «نمـر من الورق» كما كان «ستيفنسون» منزعجاً من «تدهور حال حلف شمال الأطلنطى (الناتو)» وكان يريد تقوية ودعم القوات المسلحة الأمريكية، واتهم إيزنهاور بأنه رفض «فرصاً كبيرة لاستغلال نقاط الضعف فى صفوف الشيوعيين». وأخيراً، اتهم «ستيفنسون» «إيزنهاور» بأنه سمح للسوفييت بأن يتقدموا فى سباق التسلح، وحذر من وجود «فجوة فى عدد قاذفات القنابل التى تمتلكها الولايات المتحدة فى مواجهة روسيا.»

لكن «إيزنهاور» رفض أن يسارع بالتصرف بدافع من الخوف رغم الفرص التى كانت متاحة آنذاك؛ ففى الشرق الأوسط، كانت روسيا تعمل على نشر نفوذها فى المنطقة، بغض النظر عن ان هذه الدول لا تعتنق الشيوعية، ورغم أن «دالاس» ابتعد عن سياسة تأييد إسرائيل التى تبعها «ترومان»، وحاول تحسين العلاقات مع العرب، إلا أنه كان إما عاجزا أو عازفا عن مـضاهاة برامج المساعدات الشيوعية للمنطقة. وفى أواخر ١٩٥٥، انتابته نوبة من الانفعالات العصبية عندما علم بأمر صفقة السلاح التى عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا؛ فكان رده الأول هو أن يعرض على الزعيم المصرى ـ الكولونيل جمال عبد الناصر ـ مساعدات أمريكية لبناء السد العالى فى أسوان، وهو مشروع عمـلاق، صمم لتوليـد الطاقـة الكهربائيـة من النيل؛ فقام خبراء فنيون بدراسة المشروع، وأعلنوا صلاحيته. وبحلول فبراير ١٩٥٦، كان «عبد الناصر» على استعداد لإبرام الصفقة.

إلا أن «دالاس» وجد صعوبة فى إقناع المسئولين فى الكونجرس بمشروع سد أسوان العالى؛ إذ شجب السياسيون الموالون لإسرائيل مشروع السد، بينما تعجب أعضاء الكونجرس من ولايات الجنوب: لماذا يجب على الولايات المتحدة أن تبنى سداً، سوف يشجع المصريين على زيادة إنتاجهم من القطن؟ وفى مجلس الوزراء خشى الجمهوريون المحافظون من أن تؤدى تكلفة السد إلى إحداث خلل بالميزانية، ولقد اتفق جميع المعارضين للمشروع على أن المصريين لا يمكنهم ـ بأى حال من الأحوال ـ أن يوفروا الفنيين، ولا الصناعات اللازمة لحسن استخدام السد. وبدأ «دالاس» نفسه يتراجع، عندما شكل عبد الناصر فى إبريل ١٩٥٦ تحالفاً عسكرياً مع السعودية وسوريا واليمن، ورفض أن يتراجع عن صفقة السلاح التشيكية. لقد افترض وزير الخارجية «دالاس» أن روسيا لا تستطيع أن تحل محل الولايات المتحدة فى مساندتها لسد أسوان، وهو افتراض اعتمد على الاعتقاد الغريب بأن روسيا لم تكن لديها المهارة التكنولوجية لبناء السد. وعندما سحب عبد الناصر اعترافه «بشيانج كاى تشيك»، واعترف بالصين الشيوعية فى مايو، قرر «دالاس» أن ينسحب من مشروع سد أسوان، ولكنه لم يعلن قراره.

وفى ١٩ يوليه ١٩٥٦، وفى لحظة وصول وزير خارجية مصر إلى واشنطون لمناقشة المشروع، أعلن «دالاس» أن الولايات المتحدة قد سحبت مساندتها لمشروع سد أسوان. وكان رد «عبد الناصر» الفورى تأميم قناة السويس، وبذلك استعاد هيبته وكرامته المجروحة بضربة واحدة، وحصل أيضا على الـ ٢٥ مليون دولار، قيمة الأرباح السنوية من تشغيل القناة. وعندئذ ثار غضب البريطانيين والفرنسيين بسبب اعتمادهم على القناة لمرور وارداتهم من البترول. وكانوا واثقين أن العرب تنقصهم المهارات اللازمة لإدارة القناة بكفاءة، كما خشوا أن يقرر عبد الناصر إغلاق القناة فى وجه سفنهم. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تلقوا ضربة خطيرة أثرت فى اعتدادهم بذاتهم. وتلا ذلك مفاوضات طويلة ومعقدة، دون التوصل إلى حل؛ إذ كان اهتمام «دالاس» الرئيسى هو حماية مصالح الولايات المتحدة البترولية فى الشرق الأوسط،

بينما أصر البريطانيون والفرنسيون على عدم قبول أى حل لا يضمن لهم السيطرة التامة على القناة. ولكن نظرا لتخوف «دالاس» من رد فعل العرب فإنه لم يكن على استعداد لإعادة القوى الاستعمارية إلى المنطقة، كما أنه ـ على أية حال ـ كان ـ مثله مثل «إيزنهاور» ـ يعارض بشدة النمط القديم للاستعمار الأوروبى.

لقد كانت حقا ورطة. أجرى السناتور «فولبرايت» تحقيقاً فيما بعد، ثبت فيه أن مشروع السد العالى كان مشروعاً سليما، وأن التراجع عنه كان قراراً شخصياً اتخذه «دالاس» الذى أخطأ فى تقدير كل من موقف عبد الناصر من الاتحاد السوفيتى، وأهمية السد لمصر، وأنه خلط بين القومية المصرية وسياسة الحياد وبين الشيوعية، وأنه لم يبذل جهداً جديا لإقناع المعارضين للمشروع فى الكونجرس. وهكذا، أفسد «دالاس» ـ كما جاء فى تحقيقات اللجنة ـ وضع الولايات المتحدة فى كل من فرنسا وبريطانيا، وفى حلف شمال الأطلنطى «الناتو» أيضاً، كما خسر فرصة لربط عبد الناصر بالغرب، وسمح للاتحاد السوفيتى أن يبدأ فى إعداد قاعدة بحرية فى البحر المتوسط، وساهم فى غضب إسرائيل ومؤيديها، وفشل فى اكتساب مزيدمن العرب الموالين لأمريكا.

إن غضب النقاد كان له مبرراته، ولكنه لم يأخذ كل العوامل فى الاعتبار: كان الشرق الأوسط يحتوى على ٦٤٪ من احتياطى بترول العالم، الذى كان معروفا فى ذلك الوقت، وكانت الكويت والسعودية والعراق يتصدرون قائمة المنتجين. وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، تمكنت شركات البترول الأمريكية ـ بمساعدة حكومة الولايات المتحدة ـ من انتزاع امتيازات بترولية من البريطانيين والعرب على السواء، وأدى ذلك إلى حصولهم على مصالح كبرى لأمريكا فى بترول الشرق الأوسط، وكانت تلك المصالح مأمونة بالرغم من تصرفات «دالاس» الخاطئة.

وظلت قناة السويس ضرورية لنقل البترول، وبدأ «دالاس» سلسلة معقدة من المفاوضات، بغرض مساعدة عبد الناصر على إدارة القناة بدون البريطانيين أو الفرنسيين. وعندئذ قرر الأوروبيون أن يمسكوا بزمام الأمور فى أيديهم، فبدأت

بريطانيا وفرنسا ـ بالتعاون مع اسرائيل ـ فى التخطيط لغزو مصر، ولم يبلغوا الولايات المتحدة بنواياهم.

وقع تطور آخر فى أوروبا الشرقية، أدى إلى تعقيد كل شئ. ففى فبراير ١٩٥٦ أصاب «خروشوف» الحزب الشيوعى ـ فى مؤتمره العشرين ـ بصدمة عندما أدان ستالين بسبب جرائمه، واعترف بوجود طرق متعددة تؤدى إلى الشيوعية، وأشار إلى أنه يمكن تخفيف حدة القيود التى وضعها ستالين. وبعد مرور شهرين، قامت روسيا بإلغاء جهاز المخابرات الشيوعية «الكومينفورم». لقد حصلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على نسخة من الخطاب السرى لخروشوف، ووزعت نسخاً منه فى أنحاء أوروبا الشرقية والعالم، وعلى الفور اجتاحت الاضطرابات كل أوروبا الشرقية؛ فأدت أحداث الشغب فى بولندا إلى إرغام خروشوف على حل المكتب السياسى فى وارسو الذى كان يتبع الأساليب الستالينية، وسمح «لڤلاديسلاف جومولكا»، وهو شيوعى مستقل، بأن يتولى السلطة (فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦). لقد ظلت بولندا دولة شيوعية، وعضواً فى حلف وارسو، ولكنها حصلت على درجة كبيرة من الاستقلال، وضربت مثلا للدول الأخرى التابعة لروسيا.

وامتدت الاضطرابات إلى المجر، وهى التى كانت قبل الحرب أكثر دولة فاشستية فى أوروبا الشرقية، وأكثرها نفوراً من الشيوعية التى فرضها ستالين عليها. وفى ٢٣ أكتوبر انطلق طلبة المجر إلى الشوارع، مطالبين بأن يحل «إيمرى ناجى» محل عملاء ستالين. وانضم العمال إلى الطلبة فانتشر الشغب، ووافق خروشوف على منح السلطة لناجى، ولكن ذلك لم يعد كافياً؛ إذ طالب المجريون بانسحاب الجيش الأحمر من المجر، وبتكوين حزب سياسى معاد للشيوعية. وفى ٢٨ أكتوبر، خضع السوفييت، وبدأوا فى سحب دباباتهم من حول بودابست.

لقد أصبح التحرر فى متناول اليد، ولكن إيزنهاور كان حريصاً فى خطب حملته الانتخابية على استخدام أكثر العبارات إبهاماً فقط، بالرغم من أن «صوت أمريكا» «وإذاعة أوروبا الحرة» كانا يشجعان المتمردين، وكذلك فعل «دالاس» الذى وعد

هؤلاء الذين يستطيعون الانفصال عن «الكرملين» بالمساعدات الاقتصادية. ولكن فى اللحظة الحاسمة، وبالضبط عندما بدا أن تغير ميزان القوى فى أوروبا بات وشيكا، قام الجيش الإسرائيلى بالهجوم على مصر. وفى خلال عدة ساعات، دمر كل جيش عبد الناصر تقريباً، واستولى على معظم شبه جزيرة سيناء، ثم وجهت بريطانيا وفرنسا إنذاراً، تم الاتفاق عليه مسبقا مع الإسرائيليين، يحذر القوات المتحاربة بالابتعاد عن قناة السويس. وعندما رفض عبد الناصر الإنذار، بدأ الأوروبيون فى قصف أهداف عسكرية مصرية، واستعدوا لنقل قواتهم إلى السويس تحت زعم الفصل بين الإسرائيليين والعرب.

وفى ٣١ أكتوبر، وهو اليوم التالى لبدء قصف مصر، وقبل أسبوع من انتخابات الرئاسة الأمريكية، أعلن «ناجى» انسحاب بولندا من حلف وارسو؛ فقررت روسيا أن تتحرك، على أمل أن الأحداث الجارية فى مصر، وانتخابات الرئاسة الأمريكية ستشل الولايات المتحدة عن الحركة. كما أن روسيا لم تكن ـ بأى حال ـ مستعدة للسماح بتفكك حلف وارسو، فقامت الدبابات الروسية بسحق المتمردين المجريين الذين ردوا باستخدام قنابل «مولوتوف»، ولقد أدى القتال المرير فى الشوارع إلى مصرع ٧ آلاف روسى، و ٣٠ ألف مجرى. وكانت الاستغاثات التى توجهها إذاعة المجر، تجعل المأساة أكثر إيلاما، فكان الراديو يصيح: «هل هناك أية معلومات عن النجدة؟ بسرعة، بسرعة، بسرعة!» أما آخر صرخة يائسة فقد وصلت فى رسالة بالبرق إلى «الاسوشيتد برس» وكان نصها: «النجدة ـ النجدة ـ النجدة! لقد وصلتنا شائعة الآن أن القوات الأمريكية ستكون هنا خلال ساعة أو ساعتين.. نحن بخير ونقاتل».

لم يكن هناك أى احتمال لوصول أى قوات أمريكية، لأن «إيزنهاور» لم يفكر حتى فى تزويد المجريين بمساعدات عسكرية، وما كان ليفعل ذلك، حتى لو لم تكن هناك أزمة فى الشرق الأوسط متزامنة مع أحداث المجر. ولم يكن «إيزنهاور» ليجازف بحرب عالمية ثالثة من أجل أوروبا الشرقية تحت أى ظرف. كانت سياسة التحرير التى نادى بها «أيزنهاور» و«دالاس» رياءً ودجلاً، ولقد كانت كذلك دائما.

وكل ما فعلته أزمة المجر، هو أنها كشفت ذلك الزيف للعالم. ومهما بلغت درجة بغض «إيزنهاور» للشيوعية، فإن خوفه من الحرب النووية كان أبلغ وأعمق. وحتى لو لم يكن ذلك هو الوضع، فإن القوات المسلحة الأمريكية لم تكن قادرة على طرد الجيش الأحمر من المجر، إلا من خلال حرب نووية مدمرة كانت ستترك كل المجر ومعظم دول أوروبا مخربة ومدمرة تماما. وهكذا «تعلم المجريون، وشعوب أوروبا الشرقية الأخرى أن عليهم الحصول على أفضل ما يمكنهم من السوفييت»، وعندما قبض السوفييت على «إيمرى ناجى» وأعدموه، أصبح هذا الدرس واضحاً بطريقة وحشية.

فى هذه الأثناء، لم يتقن البريطانيون والفرنسيون تحركاتهم فى مصر، فقد انكشفت نواياهم بسرعة وانكشفت معها الحجة التى كانوا يتذرعون بها. وتقدمت قواتهم بسرعة لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يتظاهروا بأن الغزو كان مبعثه حرص طرف ثالث ليس له مصلحة سوى الفصل بين المصريين والإسرائيليين. وانزعج «إيزنهاور» لاستخدامهم تكتيكات القرن التاسع عشر الاستعمارية، وكان مصدوماً لعدم إخطاره بنواياهم؛ فتقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة يحث على التوصل إلى هدنه، ثم فرضت حظراً على شحن البترول إلى بريطانيا وفرنسا. وفى نفس الوقت هددهم «خروشوف» بصواريخه، وأنذرهم ـ فى ٥ نوفمبر ـ بالانسحاب قبل أن يدمرهم، ورغم أنهم كانوا على بعد عدة ساعات فقط من الاستيلاء على قناة السويس، فقد وافقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على وقف إطلاق النار، والانسحاب.

كان أسبوعاً حافلا بالدروس؛ فقد تعلم السياسيون الأمريكيون أن يكفوا عن الثرثرة غير المسئولة عن التحرير، وتعلم السوفييت أن القومية فى أوروبا الشرقية يمكن أن تكون قوة جامحة، بينما أدرك الإسرائيليون أنه سيتعين عليهم أن يواجهوا صراعهم مع العرب بمفردهم. وسرعان ما نجحت ضغوط الولايات المتحدة والأمم المتحدة فى إجبار الأسرائيليين على التنازل عن مكاسبهم فى سيناء. وتعلم المصريون أن يتجهوا إلى الاتحاد السوفيتى للمساندة، حيث شجعهم عبد الناصر على أن يعتقدوا أن

الإنذار الروسى هو الذى أنقذهم، وليس الإجراءات التى اتبعتها الولايات المتحدة والأمم المتحدة والحظر الذى وضعته أمريكا على البترول لبريطانيا وفرنسا. أما البريطانيين والفرنسيين، فقد تعلموا أنه لم يعد بإمكانهم شغل مركز الصدارة على مسرح الأحداث العالمية، بل إنهم أصبحوا قوى من الدرجة الثانية، عاجزة عن التصرف بمفردها.

وأراد إيزنهاور أن يحتفظ بعلاقات طيبة مع الدول العربية الغنية بالبترول ـ خاصة السعودية ـ التى كانت عازفة عن قتال الإسرائيليين بنفسها، ولكن مع تأييد الذين حاربوهم، ولذلك تقدم إيزنهاور للقيام بدور المدافع عن مصر، ولكنه لم يتلق كثيراً من الشكر مقابل ذلك. وبدلا من ذلك قام عبد الناصر بتوجيه المديح للسوفيت!! الذين كانوا يبنون له السد العالى، والذين قرروا ـ من فرط ابتهاجهم بأن يكون لهم موطئ قدم على أرض الشرق الأوسط ـ أن يتخلوا عن سياستهم المؤيدة لإسرائيل، والتى استمرت قرابة عشر سنوات.

واستمر عبد الناصر فى نشر دعايته عن الوحدة العربية والاشتراكية، مع حصوله على مزيد من المساعدات من الاتحاد السوفيتى، والسماح بدخول أعداد متزايدة من السوفييت إلى مصر؛ مما أثار قلق «إيزنهاور» و «دالاس» خشية أن يتحرك السوفييت لشغل «الفراغ» الموجود فى الشرق الأوسط (هذه العبارة التى كانت دائما تثير غضب العرب). ولذا كان لابد من إحباط خططهم. وأدت محاولات الانقلاب والانقلابات المضادة فى سوريا والأردن والعراق على يد بعض أنصار عبد الناصر والمعادين له، إلى تزايد القلق الأمريكى. ولذلك طلب «إيزنهاور» فى ٥ يناير ١٩٥٧ من الكونجرس التصريح له باستخدام القوات المسلحة الأمريكية فى الشرق الأوسط، «إذا قرر الرئيس أن هناك ضرورة لذلك... لمساعدة أى أمة تطلب المساعدة ضد عدوان مسلح، من أى دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية.» وفى العام التالى، استخدم «إيزنهاور» السلطة المخولة له فيما أطلق عليه «مبدأ إيزنهاور» عندما أرسل فى ١٥ يوليه ١٩٥٨ مشاة الأسطول الأمريكى إلى لبنان لمساندة الرئيس كميل شمعون.

أوضح التدخل فى لبنان أسلوب إيزنهاور، فقد كانت عملية من جانب واحد جازفت بنشوب حرب عامة، لمساندة حكومة غير ديمقراطية، يهددها العرب الموالون لعبد الناصر. ولقد حاول «إيزنهاور» أن يربط العملية بما سبقتها من سوابق تاريخية عظيمة، عن طريق الاستشهاد باليونان ومبدأ «ترومان» فى ١٩٤٧، وأكّـد إيزنهاور خطورة الموقف بالإشارة الى سيطرة الشيوعيين على تشيكوسلوفاكيا والصين. وأوضح أن الولايات المتحدة «ليست لديها أية نية فى أن تحل محل الأمم المتحدة فى مسئوليتها الأولية، وهى المحافظة على السلام والأمن الدولى.» لقد تصرفت الولايات المتحدة بمفردها، «لأن التصرف السريع ـ فقط ـ هو الذى سوف يفى بالغرض».

كان الكلام بليغا، أما التدخل ذاته فكان أقل تأثيرا. لقد أرادت هيئة الأركان المشتركة أن تجتاح القوات الأمريكية كل لبنان، ولكن «إيزنهاور» أمر رجاله بأن يكتفوا بالاستيلاء على المطار والعاصمة، قائلاً إنه إذا لم تستطع الحكومة اللبنانية أن تصمد حتى بعد تولى القوات الأمريكية تأمين العاصمة، «فإننى سوف أشعر أننا نساند حكومة تأييدها الشعبى ضعيف، لدرجة أننا ربما يجب ألا نكون هناك.» واستغل البريطانيون الفرصة لكى يرسلوا قواتهم إلى الأردن لمساندة الملك حسين، وللتأكد من أن حصصهم فى بترول العراق لم تكن معرضة للخطر، ثم طلبوا من الولايـات المتحدة أن تنضم إليهم فى احتلال الأردن، ولكن إيزنهاور رفض ذلك رفضاً قاطعاً، رغم أن عديداً من المسئولين فى الإدارة الأمريكية كانوا يحبذون ذلك. وكعادته دائما، كان «إيزنهاور» يريد أن يحد من المخاطرة ومن الالتزامات الأمريكية.

وكان السوفييت أيضاً غير راغبين فى اتخاذ إجراءات خطيرة. وطار عبد الناصر إلى موسكو، ليتوسل إليهم لمساعدته، ولكن «خروشوف» خذله. وكان الزعيم السوفيتى يعلم أن إيزنهاور كان هدفه حماية سيطرة الغرب على البترول العربى، ويعلم مدى حيوية هذه السيطرة بالنسبة للغرب، وطالما أن «إيزنهاور» كان عازماً على الحد من نطاق التدخل، فإن «خروشوف» لن يتدخل.

لقد أثار حذر «خروشوف» دهشة كثير من المراقبين، حيث ساد الاعتقاد بأن

روسيا قد أحرزت التفوق العسكرى على أمريكا. ففى ٤ أكتوبر ١٩٥٧، قام الاتحاد السوفيتى بإطلاق أول قمر صناعى فى العالم من صنع الإنسان وهو «سبوتنك»، وقبل ذلك بشهرين، كانوا قد أطلقوا أول قذيفة (صاروخ) عابرة للقارات فى العالم (ICBM)، فأصيب الأمريكيون بالإحباط والغضب والخجل والخوف فى وقت واحد، كما عبر «والتر لافيبر» عن ذلك قائلاً: «فجأة اكتشف الأمريكيون فجوات فى كل شئ، بدءاً من إنتاج الصواريخ إلى تدريس علم الحساب على مستوى رياض الأطفال». فلجأ إيزنهاور إلى نشر وحدات القوات الجوية الاستراتيجية، ووضع صواريخ أمريكية متوسطة المدى فى تركيا وإيطاليا. ولكن ذلك لم يكن كافياً لتهدئة الذعر المفاجئ. وعندما بدأت روسيا تقرع الطبول احتفالا بزيادة متوسط إجمالى الناتج القومى (وكان ٧٪ وهو يعادل ضعف المتوسط الأمريكى تقريبا) زادت الضغوط على إيزنهاور إلى حد لايمكن مقاومته لكى «يدفع أمريكا إلى الأمام مرة أخرى».

لكن إيزنهاور رفض أن يصاب بالذعر ـ حتى فى أواخر ١٩٥٧ ـ عندما اكتشفت الصحف نتائج وتوصيات لجنة برئاسة «روان جيثر» من مؤسسة فورد، التى رسمت صورة قاتمة للغاية نشرتها الصحف عن مستقبل الأمن الأمريكى. لقد قام «إيزنهاور» ـ كعادته ـ بالتقليل من شأن تقرير «جيثر»، الذى احتوى على «ملاحظات رصينة» على حد قوله. لقدكشف التقرير أن إجمالى الناتج القومى للاتحاد السوفيتى ـ كان فعلاً ـ متزايداً بنسبة أسرع بكثير جداً من الولايات المتحدة، وأن روسيا كانت تنفق نفس القدر من المبالغ التى تنفقها الولايات المتحدة على القوات المسلحة والصناعات الثقيلة، وأنه بحلول عام ١٩٥٩، قد يصبح بمقدور السوفييت أن يشنوا هجوماً على الولايات المتحدة، باستخدام مائة قذيفة عابرة للقارات (ICBM)، تحمل رؤوساً نووية بحجم «الميجاتون»* وأنه إذا حدث مثل هذا الهجوم سيكون المدنيون، وقاذفات القنابل الأمريكية عرضة للخطر.

كان «تقرير جيثر» مشابهاً للوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى فى نتائجه، وكذلك فى التوصية بإنشاء نظام للدفاع أفضل كثيراً من النظام الموجود،

* الميجاتون: قوة إنفجارية تعادل قوة إنفجار مليون طن من «ثالث نتريت التولين» المعرفة باسم تى. إن. تى الشديدة الانفجار. (المترجم)

وطالبت اللجنة ببناء مخابئ للوقاية من الإشعاع والغبار الذرى على نطاق واسع، وتحسين كفاءة الدفاع الجوى الأمريكى، وزيادة كبرى فى القوة الهجومية الأمريكية؛ خصوصا فى مجال تطوير الصواريخ، وزيادة القوات التقليدية القادرة على القتال فى حرب محدودة، وإعادة تنظيم البنتاجون «وزارة الدفاع» مرة أخرى. وحث تقرير «جيثر» على زيادة الإنفاق على الدفاع إلى ٤٨ بليون دولار.

لكن «إيزنهاور» رفض ذلك، مبرراً رفضه فى مذكراته فيما بعد قائلا: «لم نكن نستطيع أن نحول الأمة إلى دولة أشبه بالقلعة العسكرية»، ثم أضاف: «لقد كان تقرير جيثر مفيداً، فقد كان حافزاً استفزنا». واحتفظ إيزنهاور بميزانية الدفاع تحت ٤٠ بليون دولار، ورفض بناء مخابئ للوقاية من الغبار الذرى، أو زيادة القوة التقليدية للحرب، وألغى فرقةمن فرق الجيش، وعدداً من أسراب المناورات الجوية من الخدمة العاملة. ولكنه عمل على الإسراع فى تنفيذ برنامج الصواريخ الباليستيكية، رغم أن الكونجرس اضطر إلى تخصيص موارد مالية، فاقت ماطلبته الإدارة الأمريكية لتطوير القذائف العابرة للقارات (ICBM)، وكذلك صواريخ پولاريس Polaris، لكى تنطلق تلك البرامج بأكبر سرعة ممكنة.

واندفع الديمقراطيون إلى مهاجمة الجمهوريين لأنهم سمحوا لسياسات مالية بدائية أن تعرض أمن البلاد للخطر، ولكن «إيزنهاور» كان متأكدا من صواب ما أقدم عليه. ونجحت وكالة المخابرات المركزية فى واحدة من أشهر ضربات المخابرات ـ فى التاريخ ـ عندما بدأت فى ١٩٥٦ سلسلة من طلعات الطيران فوق الاتحاد السوفيتى، بطائرات صنعت خصيصاً للطيران على ارتفاعات كبيرة، أطلق عليها طائرات يو ـ ٢ "U-2". لقد قدمت الصور التى التقطتها تلك الطائرات، كما ذكر «إيزنهاور» فيما بعد: «البرهان على أن الذعر الذى أثارته إدعاءات وجود فجوة فى عدد قاذفات القنابل وفيما بعد فجوة الصواريخ، لم يكن أكثر من اختلاقات خيالية، تنم عن عدم المسئولية»، وظلت الولايات المتحدة تحتفظ بمركز متقدم إلى حد كبير فى الأسلحة الاستراتيجية.

من أهم النقاط التى نجمت عن طيران «يو ـ ٢» هى أن «خروشوف» كان يعلم بأمرها (لم تستطع أى من الطائرات المقاتلة الروسية أن تصل إلى الارتفاع الذى طارت عليه «يو ـ ٢» وبذا فشلت فى إصابتها) وكان ذلك معناه أن «خروشوف» علم أن «أيزنهاور» يعرف مدى زيف تفاخر السوفييت بتفوقهم الاستراتيجى. إن عدم إدلاء «إيزنهاور» ببيانات قوية اللهجة عن التفوق الأمريكى على روسيا، خلال المناقشات الداخلية حول «فجوة القاذفات» كان يجب أن يطمئن السوفييت، ويقنعهم بأن «إيزنهاور» كان فعلاً رجلاً معتدلاً، وأن اهتمامه ينصب على التوصل إلى نوع من «التعايش السلمى». لقد أسهمت طلعات الطيران والمعلومات التى نجمت عنها، ورفض إيزنهاور لتقرير «جيثر»، كل هذا أشار إلى السوفييت بأن «إيزنهاور» قد تقبل الفكرة الجوهرية، وهى أنه لا أحد منهما يستطيع أن يكسب حربا نووية وأن كلاً من الجانبين سوف يخسر من جراء سباق التسلح.

إن الأحداث التى وقعت فى العام التالى لإنتاج «سپوتنك»، كان لها دور فى وضع قواعد للحرب الباردة. وعندما ما لم يتدخل السوفييت فى لبنان، دلل ذلك على أنهم اعترفوا بالمصالح الحيوية للغرب، وأنهم لن يتحدوها. وعندما رفض إيزنهاور أن يختار الحل السهل لتسوية النزاع حول «فجوة الصواريخ»، فإن ذلك دلل على أنه لم يكن يسعى إلى زيادة سباق فى التسلح، وإنما كان متلهفاً على إنفراج العلاقات الدولية المتوترة. ومن خلال الإشارات السلبية التى انبعثت من الجانبين، تبين أنهما سيحافظان على انخفاض مستوى الصراع. ولقد تميزت سنوات حكم إيزنهاور ـ فى الفترة الثانية ـ باحتدام نظام الاستقطاب الثنائى حيث أن «الاثنين الكبار» حصلا على كل ما أراداه، كما قد يشهد بذلك البريطانيون والفرنسيون والإسرائيليون والمصريون. أما قدرتهما على الاستمرار فى السيطرة على حلفائهما ـ خاصة فرنسا والصين* والعالم الثالث، بصفة أخص ـ فكانت مسألة لم تتضح بعد. وفى الواقع، لم يكن جليا أنه بإمكان «إيزنهاور». و«خروشوف» السيطرة على المتطرفين فى أمريكا وروسيا.

* كانت فرنسا منهمكة فى تطوير أسلحة نووية خاصة بها. مما سبب كثيراً من الإزعاج للولايات المتحدة، واستهلت الصين فى أغسطس ١٩٥٨ ثانى أزمة فى جزر «كيموى».

وسرعان ما وقع الاختبار فى برلين المنقسمة. كانت رغبة إيزنهاور فى انفراج التوتر مبنية على أساس استمرار الوضع الراهن، وهو ما لم يستطع خروشوف أن يتقبله فى كل مكان، وبكل تأكيد لم يستطع أن يتقبله فى برلين. وكانت برلين الغربية مثل شوكة فى حلقه، ففى كل سنة كان يلجأ حوالى ٣٠٠,٠٠٠ من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية عبر برلين، كان معظمهم من الشباب والموهوبين والمتعلمين والمهنيين. ومنذ ١٩٤٩، فقدت ألمانيا الشرقية ٣ ملايين نسمة من خلال برلين الغربية، بالإضافة إلى ذلك ضمت برلين الغربية أضخم مزيج ضخم من وكالات التجسس لم يسبق أن تجمع مثله فى مكان واحد من قبل. والتى توغلت لمسافة ١١٠ أميال داخل الأراضى التابعة للشيوعيين، بالاضافة إلى محطات الإذاعة التى داومت على بث رسائل دعائية داخل أوروبا الشرقية.

ولقد كانت المعجزة الاقتصادية لألمانيا الغربية على نفس الدرجة من الأهمية، حيث قامت الولايات المتحدة بصب مبلغ ٦٠٠ بليون دولار فى المدينة، فقامت حكومة بون بمضاهاته. ووصل إنتاج برلين الغربية من البضائع إلى ما يقرب من ٢ بليون دولار سنوياً، لقد أصبحت أعظم مدينة صناعية فى ألمانيا، وتفوق إجمالى ناتجها القومى على أكثر من نصف أعضاء الأمم المتحدة. لقد بدا جلياً التناقض الحاد بين تألق الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية فى برلين الغربية، وبين الحياه القاتمة الكئيبة فى برلين الشرقية. إن ما جعل الموقف غير محتمل بالنسبة لـ«خروشوف» كان سيل الدعاية الأمريكية عن برلين؛ إذ استخدمت الولايات المتحدة موضوع اللاجئين والتناقض الاقتصادى بين برلين الغربية والشرقية، كدليل قاطع على تفوق الرأسمالية على الشيوعية.

ومع ذلك، فقد استمر الوضع لأكثر من عشر سنوات. فلماذا قرر «خروشوف» أن يتخذ إجراءً ضد ألمانيا الغربية فى نهاية ١٩٥٨، خلال فترة اتسمت بالهدوء النسبى فى الحرب الباردة؟ ربما كان منطقه أنه بما أن «إيزنهاور» رفض بناء قوات مسلحة تقليدية، وحيث أن الرئيس كان على استعداد لعمل أى شئ ممكن لتجنب

شن حرب نووية، إذن كان الوقت مناسباً لاتخاذ حل دبلوماسى، ولكن كان هناك سبب مباشر أكثر من ذلك، وهو أن «خروشوف» كان يخشى إعادة تسليح ألمانيا الغربية، الذى أخذ ينمو ويقوى. وكانت الولايات المتحدة قد أرسلت إلى ألمانيا الغربية سلاح مدفعية قادرة على إطلاق قذائف نووية، بالإضافة إلى طائرات يمكن أن تحمل قنابل نووية، وعكف «كونراد اديناور» الزعيم الألمانى الغربى على زيادة خطى إعادة التسليح. وأخيراً أصبحت حكومة بون على وشك أن تنضم إلى فرنسا وإيطاليا، ودول «البنلوكس» فى السوق المشتركة، وهى الخطوة التى كان سيترتب عليها ربط ألمانيا الغربية بالكتلة الغربية برباط متين وبالتالى كان «خروشوف» فى مواجهة ضغوط رهيبة لإتخاذ إجراء نحو الوضع فى ألمانيا.

فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٨، أعلن «خروشوف» أن الاتحاد السوفيتى على استعداد للتنازل عن سيطرته على برلين إلى ألمانيا الشرقية، وبالتالى فإنه سيتعين على الغرب أن يتفاوض مع حكومة ألمانيا الشرقية حول حقوق العبور إلى ألمانيا الغربية، وهو ما لم تعترف به أية حكومة غربية. لقد كان وجود الغرب فى برلين يعتمد فقط على اتفاقيات احتلال سابقة للاستسلام، وإذا وقع خروشوف على معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية.. فسوف يتعين إنهاء الاحتلال. كما أن خروشوف حذّر من أن أى هجوم على ألمانيا الشرقية سوف يعتبر هجوماً على الاتحاد السوفيتى، وحدد فترة قدرها ستة أشهر للتوصل إلى اتفاق، وفى حالة عدم الاتفاق سيكون على الغرب أن يتعامل مع ألمانيا الشرقية. لقد أعلن «خروشوف» ـ فى خطب لاحقة ـ أن الحل الوحيد المرضى للوضع فى برلين، هو تحويل برلين الغربية إلى مدينة حرة مع انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية (والتى بلغت عشرة آلاف فرقة)؛ كما أنه أراد أن يدمج اقتصاد برلين الغربية مع اقتصاد ألمانيا الشرقية والاتحاد السوفيتى.

ورفض «إيزنهاور» اقتراح المدينة الحرة، ولكنه أيضاً رفض زيادة القوات المسلحة بنسبة كبيرة كمقدمة لاتخاذ إجراء حاسم إزاء برلين. وفى مارس ١٩٥٩ اقترب التاريخ الذى حدده «خروشوف»، فبدأ الديمقراطيون فى حث «إيزنهاور» على تعبئة

الجيش، ولكنه أبلغ الكونجرس أنه لم يكن بحاجة إلى مبالغ إضافية للقذائف، أو لقوات الحرب التقليدية لمواجهة الأزمة. وفى مؤتمر صحفى فى ١١ مارس، نبذ ـ بانفعال شديد ـ مطالبته بأن يتراجع عن تنفيذ خططه بتخفيض حجم الجيش، وتساءل.. ما الذى سيعود على الولايات المتحدة من مزيد من القوات البرية فى أوروبا، ثم قرع المائدة قائلاً: «إننا بكل تأكيد لن نخوض حرباً برية فى أوروبا» ثم ذكر حقيقة بديهية، وهى أن إضافة عدد قليل من الرجال، أو حتى عدد قليل من الفرق، إلى قوات أوروبا سيكون ذا تأثير محدود على ميزان القوة العسكرية هناك. وكان رأيه أن الخطر الأعظم فى أزمة برلين هو أن تنجح روسيا فى إرهاب الولايات المتحدة بحيث تندفع فى سباق تسليح يمكن أن يؤدى إلى إفلاس الدولة. ولم يكن ممكنا أن يكون التضارب بين أفعال «إيزنهاور» ورغبات الديمقراطيين (التى حققوها فى أزمة مشابهة فى برلين بعد عدة سنوات) أقوى من ذلك.

لكن «خروشوف» بدأ يتراجع؛ لأنه كان يريد تخفيض حجم قواته المسلحة كما أنه ـ مثل إيزنهاور ـ لم يكن متلهفاً على تبادل هجمات نووية مع الولايات المتحدة، ولذا أنكر أنه سبق أن وضع مدة محددة للاتفاق، ووافق على زيارة الولايات المتحدة فى سبتمبر ١٩٥٩، واتفق مع إيزنهاور على اجتماع فى باريس، على أن يعقد فى مايو ١٩٦٠.

فى خريف ١٩٥٩، فى كامب داڤيد، ماريلاند ـ أثناء مباحثات خاصة مع خروشوف ـ اعترف «إيزنهاور» بأن الوضع فى برلين كان وضعاً شاذاً، وأنه لابد من إجراء بعض التعديلات، وكان «إيزنهاور» على استعداد لتقديم بعض التنازلات لتصحيح الوضع، وكان «دالاس» قد استقال بسبب مرض خطير، فأصبح إيزنهاور أكثر وداً مع السوفييت بطريقة ملحوظة، فاقت أى زعيم أمريكى منذ ١٩٤٥. لقد نجح إيزنهاور فى تجنب وقوع أزمة بسبب برلين، ببساطة أنكر وجود أزمة، ويعد هذا دليلاً ملموساً على نفوذ الرئاسة فإن الأزمة توجد فقط عندما يقول الرئيس إنها موجودة.

لقد آثر «إيزنهاور» السلم، بطريقة محدودة وعرجاء ولكنها مع ذلك حقيقية. وطول الفترة الثانية لرئاسته، كان يحذر من خطر تحويل الولايات المتحدة إلى دولة عسكرية، وأكد على الحاجة إلى تعلم التعايش مع الشيوعيين. ونظراً لأن «إيزنهاور» كان جندياً محترفاً من المدرسة القديمة، كان يشعر أن أولى مسئولياته كانت أمن الدولة، الذى كان لايمكن تحقيقه بالدخول فى سباق للتسلح فى العصر النووى، وكان هذا هو الدليل الأساسى على بعد نظر «إيزنهاور»، حيث شعر أنه كلما زاد إنفاق الدولة على الأسلحة الذرية، قل إحساسها بالأمان؛ لأنه كلما انتجت الولايات المتحدة مزيداً من الأسلحة، كان يتعين على روسيا أن تحذو حذوها.

كان التفاوض مع السوفييت وسيلة أكثر فعالية لتعزيز أمن الدولة. ولقد اعتقد الديمقراطيون أن السبب الأساسى لاهتمام إيزنهاور بهذا، كان التزامه بموازنة الميزانية، وكان ذلك حقيقة لأنه قرر أن تكلفة الحرب الباردة تفوق طاقة الولايات المتحدة، ولكن كان ثمة سبب آخر. لقد أدرك إيزنهاور ـ بحلول عام ١٩٥٨ ـ أنه لم يتبق أمامه سوى عامين يعتلى فيها المسرح العالمى، وأنه إذا كان يرغب فى أن يترك للعالم هدية لاتندثر فإنه كان يجب عليه أن يسرع. وكانت أعمق رغباته الشخصية هى أن يترك للبشرية هدية السلام.

كان إيزنهاور وخروشوف متلهفين على تقوية مفهوم التعايش السلمى، أو انفراج التوتر فى العلاقات الدولية، وكانت لكل منهما أسبابه الخاصة. ولكن فى ١٩٥٩، كانت الحرب الباردة قد استمرت لفترة طويلة جدا، لدرجة أن إنهاءها لم يكن مهمة سهلة. كان يتعين على كل منهما أن يواجه المتطرفين فى الداخل، وكان كل منهما يعانى من مشاكل مع حلفائه، وكان كل منهما منزعجاً من مشاكل العالم الثالث، التى لم يستطع كلاهما أن يفهمها أو يسيطر عليها. كان على إيزنهاور أن يتعامل مع الديمقراطيين الذين لم يكونوا مكبلين بالرؤية التقليدية للنواحى المالية، والذين كانوا يريدون سباق تسلح، إذ كانت وجهة نظرهم أن إنفاق الحكومة سيساعد الاقتصاد، ولن يؤذيه. إن الديمقراطيين بقيادة السناتور «جون. إف. كنيدى»، والسناتور

«ليندون جونسون»، والسناتور «هوبرت همفرى»، كانوا مستاءين من سياسة إيزنهاور المحافظة، وكانوا تواقين إلى رئيس يتميز بالفاعلية المستمرة، ولم يكفوا عن الحديث عن ضياع هيبة الولايات المتحدة، كانوا يريدون أن يعيدوا الزعامة الأمريكية للعالم، التى كانت تعنى ـ عملياً ـ توسيع نطاق التزامات الولايات المتحدة، وزيادة الأسلحة الأمريكية. وفى الجانب الآخر، كان الجمهوريون يريدون أن يسمعوا من إيزنهاور مزيداً عن التحرير، وعن اتخاذ موقف صلب مع الشيوعيين. أما الرئيس نفسه، فلم يتمكن ـ بأى حال من الأحوال ـ أن يهرب تماماً من أنماط تفكير الحرب الباردة.

كذلك عانى «خروشوف» من وجود المتطرفين فى موسكو، الذين عملوا على دفعه إلى حافة الهاوية. وبالإضافة إلى ذلك، كان «ماو» قد أصبح مشكلة عويصة أمام خروشوف، مثلما كان «شيانج» بالنسبة لإيزنهاور. إن رفض خروشوف مساندة دعوة «ماو» لحروب التحرير القومية، قد برهن «لماو» أن السوفيت قد انضموا إلى القوى التى تملك كل شئ ضد الذين لا يملكون شيئا. كما كانت هناك دلائل أخرى، مثل رحلة خروشوف إلى الولايات المتحدة، ورغبته فى الذهاب مرة أخرى إلى اجتماع القمة، وفتور أزمة برلين. ومن وجهة نظر الصين، كانت روسيا تخون الشيوعية والعالم الثالث فى آن واحد، واتهموا خروشوف باسترضاء العدو، وتزايدت دعاية «ماو» التى حذرت من الرياح التى ستهب من الشرق بدلاً من الغرب، ومن ثورة الشعوب فى الريف فى كافة أنحاء العالم ضد سكان المدن، الذين اعتبر الصينيون السوفييت من ضمنهم. إن سياسة «ماو» المتطرفة ـ التى زادت حدتها بتأكيده على العنصرية ـ حازت على قبول العالم الثالث؛ مما أدى إلى صعوبة إحراز السوفييت أى تقدم فى جنوب شرق آسيا وافريقيا، تقريباً بنفس الدرجة التى واجهت الولايات المتحدة. إن «ماو» قد تحدى زعامة خروشوف للعالم الشيوعى بطريقة مباشرة ومؤثرة، كما تحدى نظام الاستقطاب بطريقة غير مباشرة. وببساطة شديدة، كان «ماو» يرى أن العالم كبير جداً ومتنوع جدا، بحيث لا يمكن أن تسيطر عليه قوتان عظيمتان، مهما بلغت درجة تقاربهما.

باختصار، لقد تمادى خروشوف وإيزنهاور فى خطواتهما تجاه التعايش السلمى، من وجهة نظر أنصار الحرب الباردة فى بلد كل منهما، ومن وجهة نظرحلفائهما. كان وضع خروشوف أضعف فى بلده؛ حيث كان إيزنهاور ـ تقريباً ـ محصناً من النقد خاصة فى الأمور العسكرية. فمثلاً عندما طالبت القوات الجوية، وبعض أعضاء الكونجرس، بأن يظل ثلث قاذفات القنابل الثقيلة التى تملكها الولايات المتحدة على متن الطائرات جواً، رفض «إيزنهاور» الاقتراح لارتفاع تكلفته وعدم ضرورته. لقد عبر أحد شيوخ الكونجرس من مؤيدى القوات الجوية عن ذلك، قائلاً: «كيف يمكننى أن أجادل إيزنهاور فى الشئون العسكرية». أما خروشوف، فلم يستمتع بمثل تلك المكانة، لذا تزايدت صعوبة تفادى أعضاء الكرملين، الذين كانوا يريدون مزيداً من الأسلحة، واتخاذ إجراء، بالنسبة لبرلين، كما كان عليه أن يواجه التحدى الصينى حول زعامة العالم الشيوعى.

كان «خروشوف» بحاجة ماسة إلى الانتصار فى الحرب الباردة لأسباب سياسية داخلية، ومن أجل التنافس مع الصين للحصول على الموالين. وربما راوده الإحساس بأن «إيزنهاور» الذى أوشك على ترك منصبه، سيكون مستعداً للسماح له بالانتصار. وبصرف النظرعن الأسباب، لقد أعلن خروشوف ـ فى ٥ مايو ١٩٦٠ ـ عشية اجتماع القمة بباريس، أن قذيفة صاروخية أرض جو روسية من طراز (سام) قد أصابت طائرة تجسس أمريكية (U - 2) داخل روسيا.

لقد دل ذلك الحادث على أن مصالح الحرب الباردة المحصنة، يمكن أن تعوق أى تقدم نحو السلام. وكان يمكن للسوفييت ـ بعد أن توصلوا أخيراً إلى القدرة على إصابة طائرات (U - 2) ـ أن ينتظروا نتائج اجتماع باريس، قبل أن يقدموا على ذلك فعلاً. ومن ناحية أخرى، كان يمكن لوكالة المخابرات المركزية أن توقف طلعات الـ «U ـ 2» ـ مؤقتاً ـ فى الفترة السابقة على الاجتماع؛ أو كان يمكن لخروشوف أن يتكتم أمر العملية كلها، على أمل أن تكون وكالة المخابرات المركزية قد تعلمت درساً، فتتوقف وتكف عن تلك العمليات. وبدلا من ذلك تعمد «خروشوف»

إحراج الرئيس؛ إذ تباهى بأداء صواريخ «سام»، وتكتم خبر أن «فرانسيس جارى باورز» قائد الطائرة كان على قيد الحياة، بهدف انتزاع تبرير من الولايات المتحدة، يمكن أن يدحضه فيما بعد بإبراز «باور». وعندما وقع إيزنهاور فى الفخ سعد «خروشوف» لموقف «إيزنهاور» المزعج، وطالب بالاعتذار أو إنكار الرئاسة لمسئوليتها عن واقعة التجسس. ولكن خروشوف أخطأ فى تقييمه لشخصية «إيزنهاور»، الذى أدلى ببيان قال فيه إنه من حق الولايات المتحدة أن تتجسس على الاتحاد السوفيتى، وأنه مسئول شخصياً مسئولية كاملة عن واقعة الطيران. وهكذا، دمر مؤتمر القمة، وتبدد أحسن أمل فى التوصل إلى اتفاق بشأن برلين، رغم تخلى «خروشوف» عن جهوده لتغيير الوضع الراهن هناك، قائلا إنه سوف ينتظر حتى يتولى الرئيس الجديد مهام منصبه، قبل أن يثير الموضوع مرة أخرى.

لقد تحسن مركز خروشوف فى روسيا، ومع الصين، ولكن بنسبة ضئيلة. وحاول «إيزنهاور» أن يضع حدا للحرب البارده، ولكنه فشل فى النهاية. وبالرغم من حادثة الـ «U-2»، واجتماع القمة الذى لم ينعقد، فقد نجح «إيزنهاور» فى تحسين العلاقات الروسية ـ الأمريكية، ولكنه عجز عن تحرير أى من العبيد الشيوعيين. وحقيقة الأمر أنه أجبر على الإذعان لوصول الشيوعية إلى الهند الصينية، و لتأسيس قاعدة روسية فى البحر المتوسط. ولكنه تجنب الحرب، وحافظ على انخفاض مستوى سباق التسلح. لقد حاول ـ على قدر استطاعته ـ تخفيف سياسة الأزمات الدائمة التى ورثها من «ترومان».

كانت نقطة الضعف الرئيسية فى «إيزنهاور» أنه كان رجلاً متقدماً فى السن، تولى قيادة حزب عتيق، وكان يحيط به مستشارون متقدمون فى السن، كما أنه تعامل مع مشاكل عتيقة. وكان انطباع الشعب عنه أنه جد عطوف، وهو الانطباع الذى تعمد الجمهوريون ترويجه. ولم يستطع «إيزنهاور» توقع المشاكل الجديدة، أو التكيف مع رياح التغيير التى داوم «ماو» على ذكرها، والتى أخذت حقا تجتاح العالم.

أفضل مثال على أن «إيزنهاور» كان ذا رؤية محدودة اتضحت فى أزمة كوبا، والتى أوضحت أيضاً القيود التى تكبل أى رئيس يحاول أن يمارس مهامه فى التعامل مع الثورة فى العالم الثالث. فى الفترة التالية مباشرة للحرب، كانت الولايات المتحدة قدعرضت تأييدها ـ شفويا ـ للثورات على الاستعمار فى أفريقيا وآسيا، ولكنها وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن تتكيف مع الثورات الاجتماعية والاقتصادية التى انتشرت بعد ذلك، وعندما حصلت الدول الأفريقية والآسيوية على الاستقلال، وجدت نفسها فى نفس الوضع الذى وُجدت فيه أمريكا اللاتينية؛ إذ ظل اقتصادهم ومصادرهم الرئيسية للدخل مملوكة لدول الغرب، أو تحت سيطرتها، واستمرت شعوبهم فى المعاناة من الفقر. وكانوا فى حاجة إلى تغيير اقتصادهم؛ الأمر الذى تطلب حصولهم على موارد مالية، اقتضى الحصول عليها أن يقوموا بتأميم الممتلكات الأجنبية الأساسية، كما فعل عبد الناصر فى مصر. كما أنهم شعروا ـ أيضاً ـ أنه يجب عليهم أن يتولوا تنظيم اقتصاد الدولة، والسيطرة عليه لاستخدام مصادرهم المحدودة على أكمل وجه.

باختصار، كانت الدول المتخلفة فى حاجة إلى تغيير علاقتها بدول الغرب، مما مثل مشكلة دائمة أمام الولايات المتحدة. وعلى المستوى الاقتصادى كان المواطنون الأمريكيون والمؤسسات الأمريكية يخسرون أموالهم عند مصادرة المصانع أو المناجم أو المزارع. ولم تدفع معظم الدول الناشئة ثمن ما وضعوا أيديهم عليه؛ لأنها من ناحية كانت مسألة مبدأ بالنسبة لهم ـ وكانوا يشعرون أن لهم الحق فى أخذ كل شئ بعد استغلالهم طوال تلك السنوات ـ ومن ناحية أخرى لأنهم كانوا يعانون من نقص الموارد. وبالإضافة إلى الخسارة المباشرة، خسرت الولايات المتحدة فرصة تحقيق مكاسب أخرى، ومجالات أخرى للاستثمار فى المستقبل. وفى الولايات المتحدة تعالت صرخات المتضررين. وكلما تم تأميم أحد المشروعات الأمريكية تعالت صرخات المكروبين مطالبين الكونجرس بضرورة التصرف؛ مما جعل مهمة التعامل مع العالم الثالث بأسلوب فعال مهمة شاقة جدا على أى رئيس.

بلغت كل المصاعب الأمريكية فى دول العالم المتخلف، أوجها فى كوبا. طوال القرن التاسع عشر، كانت الولايات المتحدة تنظر إلى تلك الجزيرة بلهفة غير مُـقنّـعة، وفى ١٨٩٨ نجحت فى طرد الإسبان واحتلت الجزيرة، وبعد أن كتب الكوبيون دستوراً أعطى للولايات المتحدة الحق فى التدخل فى شئون الجزيرة كلما رأت واشنطون ضرورة لذلك، رحلت القوات الأمريكية. لكن المستثمرون بقوا. وتدخلت الولايات المتحدة فى شئون كوبا ثلاث مرات ـ بعد ١٩٠٢ ـ لحماية استثماراتها التى أخذت تنمو حتى وصلت، فى نهاية الحرب العالمية الثانية، إلى حجم ضخم. كان الأمريكيون يمتلكون ٨٠٪ من مرافق كوبا، و ٤٠٪ من السكر، و ٩٠٪ من الثروة المعدنية، كما أنهم استولوا على خليج «جوانتانامو»، الموقع الاستراتيجى الرئيسى للجزيرة. وكانت واشنطون تسيطرعلى الحياة فى كوبا، حيث كان السكر هو تقريباً المصدر الوحيد للدخل، فكانت واشنطون تتولى توجيه اقتصاد كوبا، عن طريق التحكم فى كمية السكر المسموح بدخولها إلى الولايات المتحدة. ولقد اعترف السفير «إيرل سميث» ـ فيما بعد ـ قائلاً: «سيدى السيناتور، دعنى أوضح لك أن الولايات المتحدة... كان نفوذها فى كوبا ساحقا لدرجة.. أن السفير الأمريكى كان الرجل الثانى فى كوبا؛ وفى بعض الأحيان كانت أهميته تفوق أهمية الرئيس (الكوبى) نفسه.»

كان «فولجنسو باتيستا» هو الدكتاتور الكوبى، وعندما تولى السلطة كان من الثوار، ولكنه تكيف مع الواقع، وهو أنه كان يتولى زعامة أمة صغيرة تمتلك الولايات المتحدة قدراً كبيراً من الاستثمارات بها. وهكذا.. أخذ يؤجل إجراءات الإصلاح الزراعى وغيره من الإصلاحات التى وعد بها، حتى أصبح فى الخمسينيات نموذجاً نمطياً لحكام أمريكا اللاتينية. وكان مصدر قوته الوحيد هو الجيش الكوبى، الذى كانت الولايات المتحدة تتولى إمداده بالمعدات، كما كانت سياساته قمعية. وفى يناير ١٩٥٩ نجح «فيدل كاسترو» ـ الذى تولى رئاسة كل جماعات حرب العصابات المعادية «لباتيستا» ـ فى طرده من «هافانا» بعد صراع طويل. وفى بداية الأمر، لاقى

«كاسترو» ترحيبا من عامة الشعب فى الولايات المتحدة، حيث صوروه فى شكل رومانسى وأثنوا على الإصلاحات الديمقراطية التى اتخذها، وساعدهم «كاسترو» على ذلك، عندما عين الزعماء الأحرار الكوبيين فى مناصب مهمة فى حكومته. لقد توقع مؤيدوا «كاسترو» من الأمريكيين أنه سوف يحيى الحريات المدنية، ويقدم على إجراءات تدريجية وتعويضية للإصلاح الزراعى، وأنه سيطلب توجيهات الولايات المتحدة، ويعمل على أن تظل «هافانا» أكثر مدن العالم الجديد تألقاً، وألا يتلاعب بالمصدر الرئيسى لفقر كوبا وهو الملكية الأمريكية للمناجم ومزارع السكر.

أما فى داخل الحكومة الأمريكية، فلم يستقبل كاسترو بترحيب حار، إذ أبلغ «آلان دالاس» «أيزنهاور» أنه «على مايبدو أن الشيوعيين، وغيرهم من المتطرفين قد اخترقوا حركة كاسترو»، وحذر من احتمال اشتراك الشيوعيين فى الحكومة. وفيما بعد علق «إيزنهاور»، قائلا: «عندما سمعت هذا التقييم.. ثار غضبى لعدم تقديم مثل هذا الاستنتاج فى وقت سابق». وعندئذ تجلت القيود المفروضة على السياسة الأمريكية بوضوح، لقد رفض «إيزنهاور» اقتراحاً بأن تساعد الولايات المتحدة على عودة «باتيستا»، لأنه كان ديكتاتورا أكثر مما ينبغى، وحيث أن علاقة كاسترو بالشيوعيين كانت وثيقة جداً، فلم يكن يستحق المساندة الأمريكية. لذا، بدأت الإدارة الأمريكية فى الاتجاه إلى بديل ثالث، عبر عنه «إيزنهاور» قائلاً: «أملنا الوحيد هو العثور على قوة ثالثة، ليست ديكتاتورية، وليست من مؤيدى سياسة كاسترو، أو من مؤيدى سياسة باتيستا».

فى تلك الأثناء، تضافرت القوى الدافعة فى حركة «كاسترو» مع الحقائق التى واجهته، فى دفعه إلى اليسار. وعلى أى حال كانت ميوله الشخصية مؤيدة للتطرف، كما لم يكن هناك أى احتمال لتحسين الأحوال فى كوبا، طالما ظل تدفق الأرباح إلى الولايات المتحدة مستمراً، ولذلك بدأ «كاسترو» فى برنامج شامل للإصلاح الزراعى ولتأميم الممتلكات الأمريكية بدون تعويضات؛ فرفضت الولايات المتحدة طلبات القروض التى تقدم بها، وزادت العلاقات سوءاً، وبدأ الأحرار الكوبيون فى

الفرار من كوبا، فوصل الشيوعيون الكوبيون إلى السلطة تحت قيادة «كاسترو». ولقد رحب خروشوف بـ «كاسترو» ممثلاً للقوة الجديدة فى أمريكا اللاتينية، وأعلن نهاية مبدأ «مونرو»، ثم وقع ـ فى فبراير ١٩٦٠ ـ اتفاقية تجارية، لمقايضة سكر كوبا بالبترول والمعدات السوفيتية. وبعد مرور أربعة شهور، ألغت الولايات المتحدة حصة السكر الكوبى، وفى الأيام الأولى من عام ١٩٦١ أعلن إيزنهاور ـ رسمياً ـ قطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا.

واستمر البحث عن بديل من الأحرار، وأعطى «إيزنهاور» تصريحاً لوكالة المخابرات المركزية بوضع خطة لغزو كوبا، وبالبدء فى تدريب الكوبيين الموجودين فى المنفى، لتنفيذ ذلك الغزو بتأييد من الولايات المتحدة. وقام بعض الأحرار الذين كانوا ـ أصلاً ـ أعضاء فى حكومة كاسترو بالمساهمة فى خطة الغزو، وعندما ترك «إيزنهاور» منصبه لم تكن استعدادات الغزو قد تمت بعد، ومن ثم أصبح قرار تنفيذ الغزو من عدمه، مشكلة الرئيس الذى يخلفه.

كانت أفريقيا مصدراً آخر لمشاكل العالم الثالث. وبحلول ١٩٦٠، كان عدد كاف من دول وسط وشمال أفريقيا قد حصل على استقلاله، بحيث أصبح للكتلة الأفريقية صوت رئيسى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة. لقد لعبت الأمم المتحدة دوراً مهماً فى شئون أفريقيا والشرق الأوسط لعدة أسباب، كان أحدها ملاءمة ذلك للقوتين العظميتين. وفى ديسمبر ١٩٦٠، أقرت الجمعية العامة القرار رقم ١٥١٤، وهو فى واقع الأمر تعديل لميثاق الأمم المتحدة صرح لكل شعوب العالم بحقها فى تقرير المصير، والاستقلال، ونادى بوضع «نهاية سريعة وغير مشروطة للاستعمار بكل أشكاله ومظاهره» وعند التصويت على «إعلان الحرب على الاستعمار» حاز على تسعين صوتاً ضد لا شئ، مع امتناع ثمانية دول، وهى: الولايات المتحدة، وأستراليا، وبلجيكا، وجمهورية الدومينكان، وفرنسا، والبرتغال، وجنوب أفريقيا، وبريطانيا، وأثار الامتناع الأمريكى عن التصويت غضب الزعماء الأفارقة.

إن الأحداث التى وقعت فى الكونغو ـ فى تلك الأثناء ـ قدجلبت الحرب الباردة

إلى وسط أفريقيا لأول مرة، وأثناء ذلك زادت شكوك الأفارقة تجاه الولايات المتحدة بشكل محلوظ. ففى يونيه ١٩٦٠، فاز الكونغو باستقلاله عن بلجيكا. ولكن بلجيكا لم تكن قد اتخذت أية خطوة نحو إعداد الكونغو ليكون دولة قائمة بذاتها؛ فلم يكن هناك ضباط فى الجيش من غير البلجيكيين، أو موظفون فى دوائر الحكومة المدنية، أو خبراء فنيون لإدارة المناجم. وتم تعيين «جوزيف كازافوبو» (الذى اعتـقد أنه من المحافظين) رئيساً للدولة الجديدة، و «باتريك لومومبا» (الذى أُعتقد أنه راديكالى) رئيساً للوزراء. وعندما تمرد الجيش على ضباطه البلجيكيين تدخلت المظلات البلجيكية لحماية السكان البيض، وفى نفس الوقت بدأت المعارك بين القبائل المختلفة، التى كان كل منها يسعى إلى الوفاء بحسابات قديمة، وأعلن إقليم كاتانجا* استقلاله عن الكونغو، وهو إقليم غنى بالمعادن ويعد عماد اقتصاد الكونغو، وكان يحكمه تحالف بين ملاك المناجم البلجيكيين و «moيز تشومبى» أحد رجال السياسة المحليين؛ فطلب «لومومبا» أسلحة من روسيا، وناشد الأمم المتحدة مساعدته فى إعادة النظام، وإخضاع إقليم «كاتانجا» الذى انفصل عن الكونغو.

لقد وقعت تلك الأحداث فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه ثورة كوبا، ففاجأت صانعى السياسة الأمريكية، فى وقت كانوا يعملون فيه على منع ظهور أمثال «كاسترو». وكان «آلان دالاس» ـ فى ذلك الوقت ـ فى أوج شهرته، كما كانت وكالة المخابرات المركزية فى ذروة تدخلها فى الشئون العالمية، وكان من المسلم به أنه إذا كان «لومومبا» من المتطرفين فلابد أن يكون عميلاً للاتحاد السوفيتى. أما الحقيقة، فكانت أن تطرف «لومومبا» لم يتضمن أكثر من الالتزام باستقلال افريقيا. وفى يوليه ١٩٦٠، تم التصويت فى مجلس الأمن بالأمم المتحدة على إرسال قوة لحفظ السلام إلى الكونغو، ولكن الولايات المتحدة كانت تخشى من أن يصبح الكونغو كوبا أخرى.

* «شابا» الآن.

لقد ساعد المسئول الرئيسى لوكالة المخابرات المركزية فى «ليو بولد فيل» عاصمة الكونغو، على زيادة تلك المخاوف عندما أرسل برقية حرب باردة إلى المقر الرئيسى لوكالة المخابرات المركزية، كان نصها: «اعتقد أن الكونغو تعانى من محاولة شيوعية للاستيلاء على الحكومة، فثمة قوات متعددة تمارس العمل هنا: السوفييت.. الحزب الشيوعى، إلخ، ورغم صعوبة تقرير العناصر ذات النفوذ الفعالة للتنبؤ بنتيجة الصراع على السلطة، إلا أن.. الفترة الحرجة اقتربت.. سواء كان «لومومبا» شيوعياً فعلاً، أو مجرد مؤدٍ لدور الشيوعى لكى يساعد على توطيد سلطته فإن القوات المعادية للغرب تدعم قوة الكونغو بسرعة، وقد يكون هناك وقت متبقى لاتخاذ إجراء يمنع ظهور كوبا أخرى».

لقد تداول «دالاس» و«إيزنهاور» مع مجلس الأمن القومى، فكانت نتيجة الاجتماع إصدار أمر من «دالاس» لعملائه فى الكونغو بقتل «لومومبا»*، فقامت وكالة المخابرات المركزية بعدة محاولات لقتله، ولكن فى يناير ١٩٦١ قامت قوات «كاتانجا» ـ بقيادة تشومبى ـ باعتقال لومومبا واغتياله. وفيما بعد أصبح «تشومبى» رئيساً لوزراء الكونغو (فى ١٩٧١ قام الرئيس «موبوتو» بتغيراسم الكونغو إلى زائير).

عندما ترك «إيزنهاور» منصبه، كان يعلم أن الولايات المتحدة تواجه صعوبات جمة فى أفريقيا وكوبا، كما أنه عمد إلى تزويد خليفته بموجز عن الوضع فى برلين وفورموزا و«الناتو»، والشرق الأوسط. إلا أنه لم يذكر «فيتنام» على الإطلاق، فاستمرت الصحافة والحكومة الأمريكية فى تصوير «ديم»، على أنه نموذج للأحرار الذين يمكن للعالم الثالث أن يتخذهم أساساً لثوراته.

لم يكن إيزنهاور الوحيد الذى خانته بصيرته، بل إن الشباب الديمقراطى الذى تولى الحزب، عن طريق ترشيح «جون. اف. كنيدى» للرئاسة، والذين كانوا يحثون على الديناميكية فى العلاقات الخارجية، وعلى زيادة أساسية فى القوات المسلحة

* مازال الخلاف مشتعلا حول تقرير إذا ما كان الرئيس إيزنهاور كان على علم بذلك أم لا، أو إذا كان أعطى موافقته أم لا.

الأمريكية، بالإضافة إلى بناء علاقة جديدة تماماً بين أمريكا والعالم الثالث، هم أيضاً لم يعيروا مشكلة ڤيتنام أى اهتمام. كان «كنيدى» ومستشاروه ـ مثل «إيزنهاور» ـ مهتمين أساساً بإيجاد بديل لكاسترو بين الأحرار. وأثناء الحملة الانتخابية، أعلن «كنيدى» أن سياسته سترمى إلى عرض المساعدة الأمريكية على القوات الديمقراطية المعادية لـ«كاسترو» غير الموالية لـ«باتيستا». وكانت القضية الأساسية فى السياسة الخارجية، التى تناولتها الحملة الانتخابية لنيكسون وكنيدى فى عام ١٩٦٠ هى «كموى» و «ماتسو». كان كنيدى يشك فى أن تلك الجزر تستحق الدفاع عنها، رغم أنه لم يقترح أبداً الاتجاه إلى إعادة تكييف السياسة الأمريكية تجاه الصين. ولقد أصر «نيكسون» على ضرورة التمسك بـ «كموى» و «ماتسو»، كما أن «كنيدى» أكد على فجوة الصواريخ، التى أنكر نيكسون وجودها. ولم تكن هناك اختلافات أساسية أخرى على قضايا السياسة الخارجية بين المرشحين الموالين للحرب البارده، واللذين تنافسا حول من سيكون أكثر صلابة مع الشيوعيين، وفاز كنيدى بفارق طفيف.

فى يناير ١٩٦١، ألقى إيزنهاور خطاب الوداع، وكان قلقاً بشأن التكلفة الداخلية للحرب الباردة. وكانت مثالياته هى تلك السائدة فى المدن الأمريكية الصغيرة، كما كان يخشى من الحكومة الكبيرة وإخضاع الحياة الخاصة لنظام صارم، وتأثير ذلك على القيم الأمريكية التقليدية، ولم تكن لديه فكرة محددة عن كيفية التعامل مع تلك المخاطر؛ لأنه كان يعلم أن كليهما كان ضرورياً للاستمرار فى الحرب الباردة، ولكنه أراد أن يحذر مواطنيه. لقد أشار إلى أن «الجمع بين مؤسسة عسكرية هائلة، وصناعة تسليح ضخمة... تجربة أمريكية جديدة ، أدت إلى ممارسة النفوذ المطلق، يمكن الإحساس به فى كل مدينة، وفى كل مجالس الولايات، وفى كل مكتب للحكومة الفيدرالية. وفى مجالس الحكومة؛ لذا يجب أن نأخذ حذرنا من اكتساب نفوذ لا مبرر له، سواء سعى إليه المجتمع العسكرى الاقتصادى أم لا».

ولكن الحزب الديمقراطى لم يعر ذلك أى انتباه، لقد أكد كنيدى ـ فى حملته الانتخابية وخطاب توليه الرئاسة ـ على أن جيلاً جديداً سيتولى السلطة فى الولايات

المتحدة، التى زادتها الحرب الباردة صلابة، فأصبحت على استعداد للتعامل مع كل المشاكل العويصة. لقد وعد أن يبدل زعامة «إيزنهاور» المرهقة بأفكار جديدة ووسائل جديدة؛ وحيث إن تلك العموميات لم تعضدها أية اقتراحات محددة، كان من الصعب معرفة ماهية تلك الاتجاهات الجديدة. والذى كان واضحاً هو أن الولايات المتحدة قد جاءتها روح تقدمية هجومية. لقد أوشك التحرك أن يحل محل عدم التحرك، وقد وعد «كنيدى» أنه سيدفع الدولة إلى التحرك مرة أخرى. إلى أين، لم يدر أحد على وجه التحديد.